

مقاربة بين نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية (قواعد البنية والتركيب)

An approach between Al-Jurjani's Theory of Nazm and Transformational Generative Theory (Rules of Structure and Syntax)

د. جهان بلمولود*
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
djibelm2016@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/03/30

تاريخ القبول: 2023/03/10

تاريخ الاستلام: 2022/12/24

ملخص:

انكب أفاضل علماء اللغات على دراستها، بل أشبعوها دراسة وتحليلاً؛ للوقوف على أسرار لغاتهم، وتقنياتها لأجل المحافظة عليها، وتناقلها جيلاً بعد جيل، مهما كان نوع لسانهم. وقد أبدع اللغويون العرب في ذلك أيما إبداع، فأخرجوا قواعد النحو العربي-مثلاً- ومن بين الدارسين العرب عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم التي حاول من خلالها الوقوف على كيفية تأليف كلام سليم ذي معنى.

وعند اللسانيين الغربيين توقفنا مع الأمريكي أفرام نوام تشومسكي صاحب النظرية التوليدية التحويلية، والتي أراد من خلالها إحداث ثورة على النظريات التي سبقتها، وبالرغم من اختلاف لسان العالمين الجرجاني وتشومسكي إلا أنهما يلتقيان في بعض الأفكار، وهذا ما حاولنا الوقوف عليه في هذا المقام؛ كي نقارن ونقارب فيما بين نظريتهما اللغويتين.

الكلمات المفتاحية: النظم، المعنى، البنية، التركيب، الجملة.

Abstract:

The best linguists devoted themselves to studying their language, rather they filled it with study and analysis. Discover the secrets of their languages, codify them to preserve them, and transmit them from generation to generation, whatever the type of their language.

Arab linguists were very creative in this regard, so they highlighted the rules of Arabic grammar - for example - and among Arab scholars was Abdul Qaher Al-Jurjani, the author of Nazm theory, through which he tried to discover how to compose a healthy and meaningful speech.

With Western linguists, we stopped with the American Avram Noam Chomsky, the author of the transformational generative theory, through which he wanted to revolutionize the theories that preceded him. Compare and converge the two linguistic theories.

Keywords: nazm, meaning, structure, syntax, sentence.

1. مقدمة:

تسبقت الأمم منذ القدم إلى دراسة لغاتها، ومحاولة إثبات أن لغتها هي الأرقى والأعرق؛ ولأجل ذلك شحذ علماء وأساتذة كل لغة همهم لأجل تأكيد ذلك وأكثر لما اشبعوها درسا وتحليلا، ووصفا وتقنيًا، إلى أن ضبطوها جيدا، واستخروا ميزاتهما وخصائصها بغية المحافظة عليها، وذلك التسابق اللغوي بين مختلف الأمم أدى إلى المقارنة فيما بين اللغات، وأسهم في تطوير الدراسات اللغوية واللسانية، فظهرت مدارس عديدة ومتخصصة ومتنوعة بتنوع اللغات الإنسانية. ومن النظريات البلاغية واللسانية التي شاعت وسط الدارسين والباحثين، نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني، والنظرية التوليدية التحويلية للأمريكي نوام تشومسكي.

-أولا- نظرية النظم :

صاحب نظرية النظم هو عبد القاهر الجرجاني، وهو "أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد المتوفى عام 471هـ¹ الموافق لسنة 1078م، له مصنفات كثيرة في الفقه : شرح الفاتحة في مجلد واحد، وإعجاز القرآن الكريم (وهذا الكتاب هو شرح لكتاب إعجاز القرآن للواسطي، وجاء في شرحين: المعتضد الكبير، والمعتضد الصغير).

وفي اللغة أخرج أيضا جملة من الكتب، أشهرها: المغني (جاء في ثلاثين مجلدا، وهو شرح للإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي)، وكتاب التكملة (زيادات على المغني)، وكتاب العمدة في التصريف، والعوامل المائة في النحو... وفي البلاغة له: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، وهذان الكتابان "متكاملان أودعهما عبد القاهر خلاصة فكرته وجوهر نظريته في دراسة المعنى اللغوي ومعاني النحو"².

نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

عرف الجرجاني النظم في مصنفه دلائل الإعجاز، فقال: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"³، ويقول في موضع آخر: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"⁴.

وعليه، فالنظم هو وضع الألفاظ بجانب بعضها البعض، وترتيبها، ورصفها الواحدة تلو الأخرى، لكن هذا الشرط مرتين باحترام قوانين النحوم مع مراعاة المعنى، وهناك فرق بين نظم الكلم ونظم الحروف، ففي الكلمات نقتفي "في نظمها آثار المعنى، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق، وكذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء، والتخيير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض"⁵، ونستطيع أن نمثل الكلام المنظوم بجدار محكم البناء، والطوب فيه يقابل الكلم، والبناء لما يبني ذلك الجدار فإنه يضع الطوبة بجانب أختها، ويلحمهما بواسطة الخرسانة، وحينما يفرغ من الصف الأول ينتقل إلى الصف الثاني، ويكرر العملية نفسها، والذي يخول له بناء جدار مستقيم مع الشاقول استخدامه خيط المطمار، وهكذا دواليك حتى ينهي بناءه، ويكون سليما مستقيما متينا، وفي الواقع أمر نظم الكلم لا يختلف عن هذه العملية فقط

نعوض الطوب بالكلمات، والخرسانة بالمعنى، وخيط المظمار بقوانين النحو ومعانيه؛ حتى ننشئ كلاما سليما مستقيما متينا ومنظوما.

وأما نظم الحروف فأسهل من ذلك بكثير، ولا يتطلب تلك الشروط، "وذلك أن نظم الحروف هو توألهما في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتضى في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، ولو أن واضع اللغة كان قد قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد"⁶، إذن نظم الحروف هو تتابعها في النطق وحسب، ولا دخل للدلالة ألينة في ذلك، في حين نظم الكلم ليس الغرض منها "أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها، وتلاقى معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"⁷.

ويمكننا تلخيص رأي الجرجاني حول نظم الكلم في النقاط التالية:

- 1- "الألفاظ أوعية للمعاني وخدم لها.
- 2- ليس المقصود بالنظم ضم الشيء إلى الشيء كيفما اتفق، بل لا بد فيه من تتبع آثار المعاني واعتبار الأجزاء مع بعضها.
- 3 - لا نظم ولا ترتيب للكلم حتى يتعلق بعضها ببعض.
- 4- لا بد في النظم من أن تتلاقى معاني الكلمات على الوجه الذي يقتضيه العقل.

5- ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو...

6-المهم معرفة مدلول عبارات النحو لا العبارات نفسها [يقصد معاني النحو لا نصوص قواعد النحو].

7-الاستعارة وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم.

8-لا ينكر تعلق الفكر بمعاني الكلم مفردة أصلا، ولكن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو"⁸.

ونظم الكلم عند عبد القاهر الجرجاني جرمعه قضايا ومسائل لغوية أخرى يضيق المقام هنا عن استيعابه، ونكتفي فقط بذكرها، وهي: التعلق، ومعاني

النحو، والفصاحة والبلاغة، ومعاني الكلام، والقول في الفصل والوصل، وعلاقة اللغة بالفكر.

ثانيا- النظرية التوليدية التحويلية :

رائد النظرية اللسانية التولية التحويلية هو الأمريكي أفرام نوام تشومسكي، ولد في 7 ديسمبر 1928م ولا يزال على قيد الحياة، وقد تعلم شيئا من مبادئ علم اللغة التاريخي، وتأثر بفلسفة وفكر ديكارت (1596م-1650م).

أما ما تعلق بتشومسكي اللساني، فقد قال عن نفسه ذات يوم "قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية، وما زلت أذكر دراستي للأجرومية [يقصد متن ابن أجروم الصنهاجي المغربي] منذ عدة سنوات خلت أظن أكثر من ثلاثين عاما، وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ روزنتال، وكنت وقتذاك طالبا في المرحلة الجامعية أدرس في جامعة بنسلفانيا، وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري"⁹، إذن فقد اطلع ونعرف على قواعد النحو العربي التي لخصها متن ابن أجروم، بعدها دخل ميدان اللسانيات العامة، وهذا قبل أن يبدع النظرية التوليدية التحويلية. ولديه عدة مؤلفات أهمها:

- The logical (البنية المنطقية للسانيات)

structur of linguistic

-Structurs linguistics (البنى التركيبية 1957)

-Aspects of the theory of (مظاهر النظرية التركيبية 1965)

syntax

وفي الواقع صدور كتاب (البنى التركيبية) يعد ثورة على اللسانيين السابقين له، وعلى رآهم اللغوية، فعلى سبيل المثال يرى تشومسكي أن التحليل التوزيعي لم يجر معه سوى مخططات (shemas) لسانية لجمل تحمل معان غامضة ولا معقولة، وغير منطقية في كثير من الأحيان، وخالف بلومفيلد حينما تبنى آراء علم النفس السلوكي، فجعل من الإنسان آلة يمكن أن تنتبأ بسلوكاته اللغوية، أما

دراسة اللغة (في ذاتها ومن أجل ذاتها) مثلما قال دوسوسير يجعلنا نهتم فقط باللغة في شكلها وبنيتها وبعبارة أدق نظامها، ونهمل المعنى والعقل، ونكتفي بالوصف السطحي لها.

وقد رفض تشومسكي ذلك الرأي، فاللغة عنده يجب أن تساعدنا على فهم الطبيعة البشرية، وهذا لا يوفره لنا المنهج الوصفي الذي لا يتجاوز حدود المادة اللغوية التي يدرسها، والنظرية التوليدية التحويلية في إرهاباتها الأولى بحثت عن أجوبة لأسئلة هامة ظلت تبحث عنها ردحا من الزمن منها: "لماذا الناس الأكثر غباء يستطيعون الكلام، في حين القردة الأكثر ذكاء لا يقدر¹⁰ون".

1- النظرية التوليدية التحويلية الكلاسيكية:

ونقصد بالكلاسيكية النظرية التوليدية التحويلية في مؤلف البنى التركيبية لعام 1957م، وقد صب تشومسكي في هذه المرحلة من نظريته اهتمامه في الجملة؛ بغية دراستها، وتحديد القوانين التي تحكمها، والهدف الحقيقي للنحو عند هو تمييز الجملة النحوية من غير النحوية، وبعبارة أدق الجملة السليمة البناء النحوي من غيرها، فقال: "الهدف الأساسي للتحليل اللساني للغة (ل) هو فصل المتتاليات النحوية التي هي جمل في (ل) من المتتاليات غير النحوية التي ليست جملا في (ل)، ودراسة بنية المتتاليات النحوية، فيكون نظام قواعد اللغة (ل) وسيلة لتوليد جميع المتتاليات النحوية للغة (ل)، وعدم توليد أية واحدة من المتتاليات غير النحوية"¹¹؛ وهذا يعني أن جمل لغة ما قد تكون مقبولة أو مرفوضة، فإذا كانت صحيحة نحويا نقبلها، أما إذا كانت غير نحوية فنرفضها، فالجانب المعنوي-في هذه المرحلة من النظرية- وحده لا يستطيع الكشف عن مقبولية الجملة من عدمها، ولتوضيح ذلك قدم تشومسكي المثال التالي:

-Colourless green ideas sleep fouriously.

-Fouriously sleep ideas colourless.

وترجمتها:

- الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة.

- بشدة تنام الخضراء التي لا لون لها الأفكار.

فالجملتان المذكورتان لا معنى منطقي يتقبله العقل لهما، ولا يختلف في ذلك اثنان، غير أن "أي متكلم إنكليزي يدرك أن الأولى فقط هي النحوية"¹²، والذي يخول له هذا الإدراك أن "البنية السطحية في الأولى تتوافق مع قوانين البنية العميقة عنده"¹³ أو ملكته اللغوية التي ولد مزودا بها.

ومما تقدم يخرج تشومسكي بنتيجة هي أن "مثل هذه الأمثلة يظهر أن كل بحث عن تعريف مؤسس على الدلالة القواعدية سوف يكون باطلا"¹⁴، وهذه هي أول خاصية ميزت القواعد التوليدية التحويلية، حيث ضربت مسألة المعنى عرض الحائط، وقد اقترح تشومسكي في كتابه البنى التركيبية ثلاث طرق للتحليل النحوي نكتفي بذكرها فقط-لضيق المقام-، وهي:

- القواعد ذات الحلالات المحدودة.

- قواعد تركيب الجملة، أو القواعد التركيبية.

- القواعد التحويلية.

بعد هذه المرحلة من النظرية التوليدية التحويلية أخرج تشومسكي مؤلفا آخر عام 1965م هو مظاهر النظرية التركيبية، وهو في الواقع أهم مؤلف عنده؛ لأنه من خلاله عدّل نظريته بعد أن امتثل إلى نصائح بعض أصدقائه، فقد قام كل من كاتز وبوسطال (1965م)، وكاتز وفودور (1963م) بإدخال المكون الدلالي في النموذج التحويلي، وأضاف هذان الأخيران "للنحو معجما يضم معلومات دلالية وتركيبية حول كل عنصر لغوي يضمه، إضافة إلى مجموعة من قواعد الإسقاط التي كانت وظيفتها إعطاء لكل جملة -تحمل معنى مقبولا- على الأقل تمثيلا دلاليا واحدا"¹⁵، وملخص عملهما والآراء التي جاء بها شعارهما الأشهر "الوصف اللساني ناقص القواعد يساوي الدلالة"¹⁶، مع التذكير أن مفهوم

القواعد عندهم لا ينحصر فقط في البنية وتركيب العبارة، بل يشمل أيضا الجانب الصوتي.

بعد المرحلتين السابقتين وصلت النظرية التوليدية التحويلية إلى أوج تطورها لما استعان تشومسكي بأراء تلاميذه، وبخاصة جاكوندوف، و"تعاين هذه النظرية الموسعة دور البنية السطحية في التأويل الدلالي، وتنحو إلى قلب النموذج المعروف في (وجوه النظرية التركيبية) إذ تؤكد أن البنية السطحية يمكن وحدها أن تلعب دورا مقررًا في التأويل الدلالي، في حين ينحصر إسهام البنية العميقة في تعيين المعنى"¹⁷، وهنا بالذات أتوا بنوع جديد من العلاقات هو العلاقات المدارية القائمة على أساس الدلالة بين الفعل والعناصر اللغوية المحيطة به.

مقاربة بين نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية:

-أول قضية جمعت بين الجرجاني وتشومسكي هي البيئة الثقافية والاجتماعية، والدينية وحتى السياسية التي كانا يعيشان فيها، وقد تمردا عليها: فالجرجاني وإضافة إلى جهوده في محنة خلق القرآن الكريم، وقوله إن القرآن الكريم معجز بنظمه تصدى كذلك إلى من نظر إلى الشعر والكلام، فاستحسن تارة اللفظ وتراءت له المزية فيها مهملا كلية المعنى، والعكس فمنهم من أثر المعنى على اللفظ، وهذا ما جعلهم ينصرفون عن النحو، وبالأخص البلاغيين الذين اهتموا بدراسة النصوص الإبداعية على اختلافها شعرا أو نثرا، وهم الذين يخاطبهم الجرجاني حين قال: "وأما زهدهم في النحو، واحتقارهم له، وإصغارهم أمره، وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدم [ويقصد زهدهم في رواية الشعر ودراسته وتبعه] وأشبه بأن يكون صدى عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه"¹⁸، إذن فمقدار احترام الجرجاني للنحو عال، ولن نبالغ إذا قلنا إنه يصل إلى درجة القداسة، كيف لا والنحو ركن أساسي في نظريته إذ به يتحقق صلاح النظم واستقامته، وإذا خرجنا عن قوانينه فسد النظم، و"الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها،

وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وإنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيحا من سقيم حتى يرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه، وإذا كان الأمر كذلك فليت شعري ما غدر من تهاون به، وزهد فيه، ولم ير أن يستسقيه من مصبه، ويأخذه من معدنه، ورضي لنفسه بالنقص والكمال لها معرضه، وأثر الغبينة وهو يجد إلى الريح سبيلا¹⁹، إن الذي يقرأ هذا القول يشعر بمدى غضب الجرجاني وغيضه على من لا يأبه بالنحو، ويصعرك له خده، ويرى فيه مجرد قوانين صارمة وجامدة تقيد؛ وحتى يطفئ نار غضبه شحذ فكره وقلمه ليتصدى، فيردع كل من يخالفه في آرائه ومواقفه ويرد عليه.

وحالة الغيظ والغضب هذه انتابت الأمريكي تشومسكي، وربما على الدرجة نفسها، فعلى مستوى الساحة السياسية كان ساخطا على ما فعله الصهاينة بالعرب، ولم ترضه أعمال الأمريكيين بالفيتنام، وفي ميدان عمله؛ أي الحقل اللساني وبالرغم من تأثره بأستاذه هاريس ومن قبل بلومفيلد إلا أنه صار فيما بعد مضادا له (anti-Bloomfieldien)، فرفض ذلك التبني الأعمى للمنهج الوصفي، وما ترتب عنه من اعتبار الإنسان مجرد آلة ويمكن التنبؤ بسلوكاته، فرفض بذلك "المنهج الوصفي في النحولقصوره عن إدراك الجوانب الإنسانية في اللغة عندما ركز على الجانب اللغوي وحده من خلال التعامل بين أفراد الجماعات اللغوية مع إغفال الجانب الخفي الذي يتحرك وراء المظهر المادي للكلام"²⁰، وهذا ما جعل تشومسكي عقليا في منهجه، ولم يهمل الجانب الخلاق في اللغة.

2- إن سخط العالمين الجرجاني وتشومسكي بمعناها الواسع جر معه قضية اشتراكا فيها، وهي نظرتهمما إلى علم النحو، فشيخ جرجان، وإضافة إلى احترامه المقدس للنحو، واشتراطه للنظام ألا يزيغ عنه في أثناء عمله، فقد أوجد مصطلحا ثانيا على درجة خطيرة من الأهمية هو معاني النحو؛ وهذا المصطلح

دال على تلك العلاقات التي تربط بين معاني الألفاظ قبل النطق الفعلي بها، وهذه المعاني يعرفها كل صاحب لغة، وهي خاصية يكتسبها سليقة كما يكتسب لغته التي يتواصل بها، وليس ضروريا أن يتعلمها في مدرسة نحوية متخصصة.

والنقطة الثانية الهامة في معاني النحو هي أن المتكلم حينما يعلق فيما بين معاني كلمه، فهذه العملية تتم على مستوى الذهن؛ أي في العقل، وهنا نقطة التقاء الجرجاني مع تشومسكي إذ أن هذا الأخير لم يهمل الجانب الحدسي في اللغة، وهذا يعني أن المتكلم يستطيع إنشاء جمل صحيحة أو على حد تعبيره جملا أصولية من دون أن يحتاج إلى معرفة تلك القوانين النحوية التي تنظم الكلمات في السلسلة الكلامية الواحدة، وتربط فيما بينها، فهذه خاصية يكتسبها الفرد سليقة، وتحدث على مستوى الذهن باعتبار الحدس عملية عقلية محضة.

3- معاني النحو عند الجرجاني مرتبطة بإرادة الناظم وأسلوبه، فيسند أي فاعل شاء إلى أي فعل شاء، وأي خبر شاء إلى أي مبتدأ شاء، فهذه مسألة ذوقية وفردية راجعة إلى أسلوب المتكلم أو المبدع، والحال نفسها عند تشومسكي، فإضافة إلى اعتناؤه بالجانب الخلاق للغة، فضمن هذه الأخيرة مجموعة قوانين تحويلية اختيارية تسمح للمتكلم -مثلا- بتوليد جملة مبنية للمجهول متى شاء، ويجعلها مبنية للمعلوم متى يشاء، فهذه أيضا مسألة ذوق وتعلق بالفرد المتكلم، ويمكننا أن نلخص مجهودات كل من الجرجاني وتشومسكي في هذه المسألة وسابقتها إلى أن كل واحد منهما حاول "إعطاء النحو إمكانات تركيبية مستمدة من قواعده العقلية، بحيث أصبحت هذه الإمكانيات أشبه شيء بصندوق مغلق له مدخل ومخرج تدخل فيه المفردات وتتفاعل، ثم تخرج على التأليفية الجديدة، ونحن لا نلمس سوى المظهر المادي للعملية، أما الجانب العقلي فهو خفي داخل الصندوق.

المفردات - مدخل - النحو - مخرج - الأسلوب²¹

4-إشارة تشومسكي والجرجاني إلى أن المتكلم يطبق قوانين النحو ومعانيه سليقة وحدسا حتى يكون كلامه منظوما وأصوليا لم يثنهم عن مسألة الدلالة، فالمعنى مسألة جوهرية، إذ لا يمكننا تطبيق مبادئ نظريتهما على كلام خال من المعنى، فالمعنى عند الجرجاني هو الذي يحكم المعاني ويسوسها، وما الألفاظ إلا قوالب وأوعية له، ولو خلت هذه القوالب من محتوياتها لا يمكننا ألّبتة أن نتحدث عن النظم، قال الجرجاني: "وأنا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني لم نتصور أن يجب فيها نظم وترتيب"²².

وبالنسبة لتشومسكي، وإن كان قد أغفل في مؤلفه البنى التركيبية لسنة 1957م الجانب الدلالي، فقد استدرك ذلك فيما بعد، حينما اطلع على أعمال كاتز، وفودور (1963م)، ثم كاتز وبوسطال (1964م)، وتأثر ببعض آراء تلامذته ونصائحهم، فتبلورت كل تلك التأثيرات، وظهرت نتيجة لذلك نظريته وقد اكتملت في مؤلف عام 1965م، حيث أدرج المكون الدلالي في القواعد التحويلية، ورأى بأن "النحو التوليدي يجب أن يكون نظاما من القواعد التي نستطيع تبنيها لنولد عددا لا نهائيا وكبيرا من البنى، وهذا النظام من القواعد يمكن أن يحلل إلى ثلاثة أجزاء هي المكونات الثلاثة الأساسية للنحو التوليدي: المكون التركيبي، والفونولوجي، والدلالي"²³.

5- في أثناء عرض العالمين لنظريتهما اعتبر كل واحد منهما الجملة الوحدة اللغوية الأساسية، فعنيا بالجملة وأحاطاها برعاية لنقل كانت مطلقة، فالجرجاني حينما قال إن النظم هو تعلق الكلام بعضه ببعض، وجعل بعضه بسبب بعض متوخيا في ذلك معاني النحو، لا يمكننا أن نتصور بأن هذا الأمر واقع خارج الجملة، ففيها يتم التأليف فيما بين الألفاظ، وعلى مستواها يقع النظم.

وحيثما جاء تشومسكي بنظريته التوليدية التحويلية – ماذا نولد؟ وماذا نحول؟ قطعاً لا شيء سوى الجمل، إذن الجملة عند العالمين وحدة لغوية

أساسية قامت عليها نظريتهما، بيد أن الاختلاف واقع في الكيفية التي عولجت من خلالها الجملة؛ فالجرجاني انطلق من الكلمة أو اللفظ، فدرس أحوالها، وبين العلاقة بين اللفظ والمعنى، ثم نظرفي العلاقات النحوية والدلالية والبلاغية التي تربطها بجاراتها، فوصل إلى التركيب أو نظم الجمل؛ أي أنه انطلق في صناعته من الكلمة، ووصل إلى الجملة.

أما أفرام نوام تشومسكي، فنظرفي الجملة أولاً، وميز الأصولية منها من غير الأصولية، وحدد بنيتها السطحية والعميقة، وكيف نصل إليهما، وبين كيف يتم اشتقاق وتوليد جملة أخرى، ناهيك عن وضعه قوانين استخراجها ليبين التحويلات التي تطرأ عليها حتى تصير على الشكل النهائي الذي تدرس من خلاله، فيتم تحليلها، وتفكيكها إلى كل عناصرها التي تألف منها بواسطة قواعد محددة، وفي بعض الأحيان اعتمد مشجرات توضيحية، فنصل بذلك إلى مستوى الكلمة المفردة، وعليه تشومسكي انطلق من الجملة ليصل إلى الكلمة المفردة، أما الجرجاني فانطلق من الكلمة ووصل إلى الجملة.

6- في أثناء دراسة العالمين للجملة أوضح كل واحد منهما وبطريقته الخاصة أن للجملة بنيتين؛ الأولى سطحية والثانية عميقة، وأشار أيضاً إلى القواعد التحويلية التي تربط بين البنيتين.

فعبد القاهر الجرجاني وضح هاتين البنيتين لما ولج باب عملية الكلام وكيفية حدوثها، حيث "أنك ترتب المعاني أولاً في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها بالألفاظ في نطقك... فترى الرجل منهم يرى ويعلم أن الإنسان لا يستطيع أن يجيء بالألفاظ مرتبة إلا من بعد أن يفكر في المعاني ويرتبها في نفسه على ما أعلمناك، ثم تفتشه فتراه لا يعرف الأمر بحقيقته، وتراه ينظر إلى حال السامع، فإذا رأى المعاني لا تفع مرتبة في نفسه إلا من بعد أن تقع الألفاظ مرتبة في سمعه"²⁴، إذن فالبنية العميقة للجملة هي ذلك المعنى الذي يختلج في الذهن، ويريد

المتكلم توصيله إلى السامع بتوسد الألفاظ، وهذا ما يعطي للجملة بنيتها السطحية.

وإذا ما اعتمدنا الروح المنطقية التي تحلى بها الجرجاني في أعماله نستطيع تمييز هاتين البنيتين من جانب المعنى وحده، إذ أن الجرجاني "قد استطاع تمييز طبقتين من المعنى في الجملة (أو في مجموعة من الكلمات)، فالأولى هي المعطى الفوري الذي تمثله الكلمة أو الجملة"²⁵، وما هذا المعطى الفوري إلا ذلك المعنى الذي يتولد في الذهن عند سماع الكلمة أو الجملة.

والطبقة الثانية "هي المعنى الخفي الذي يستطيع ذلك المعنى الأول توصيله باعتباره بنية لسانية"²⁶، وهذا ما يعبر عنه الجرجاني بمعنى المعنى، ولا يتحقق هذا الأخير إلا عندما نرحل معنى الكلمات عن حقيقته، فنحن إلى المجاز.

والقوانين التحويلية التي ذكرها الجرجاني، نحو: الزيادة، والتقديم، والتأخير، والتعريف، والتنكير، ففي التقديم كما في قولنا: ما زيد إلا قائم، فتصير: ما قائم إلا زيد، وصيغتها:

أ+ب ← ب+أ، ولم يختلف تشومسكي كثيرا عما قاله الجرجاني فميز هو أيضا بين بنيتين للجملة، "بين البنية السطحية أي الظاهرة عبرتتابع الكلمات أو البنى الأساسية التي ينطق بها المتكلم، وبين البنية العميقة أي القواعد التي أوجدت هذا التتابع أو البنى الأساسية التي يمكن تحويلها لتكون جمل اللغة"²⁷.

والقواعد التحويلية التي استخرجها تشومسكي تضمنها مؤلف البنى التركيبية، وهي القواعد ذات الحالات المحدودة، وقواعد تركيب الجملة، والقواعد التحويلية، وكانت ضمنها قواعد أخرى يمكن استخراجها - لم يصحح بها-، وقواعد أخرى ضمنها في المؤلفات التي لحقت بإصدار عام 1957م، فكانت متنوعة، نحو قواعد الزيادة، والحذف، والتوسيع، و... الخ.

وفي النظرية النموذجية صارت القواعد مقسمة إلى ثلاثة مكونات، هي:

أ-المكون التركيبي، وفيه مكون الأساس والمكون التحويلي.

ب-المكون الفونولوجي.

ج-المكون الدلالي.

وهذه القواعد التحويلية هي التي تسمح لنا بتفسير تلك العلاقات التي تربط فيما بين البنية السطحية للجملة وبنيتها العميقة.

الخلاصة:

- النظم عند الجرجاني هو أن تضع كلامك، وترتب الألفاظ فيه بطريقة تتوخى فيها قواعد النحو وقوانينه، بحيث لا تزيع عنها وغلافسد الكلام.
- تعلق الكلم فيما بينها داخل التركيب نفسه نتيجة منطقية لتعلق معانيها في الفكر.
- السلسلة الكلامية-عند الجرجاني- تبدأ من ذهن المتكلم وتنتهي في ذهن السامع، فالمعاني تتولد في ذهن المتكلم أولاً، ثم يختار لها ما يناسبها من ألفاظ لينطق بها، بعدها يتلقاها المستمع بجهازه السمعي، ثم ينقل تلك الألفاظ إلى ذهنه أين تتحول إلى معان من جديد، فيفهمها.
- النظرية التوليدية التحويلية مرت بثلاث مراحل هي: النظرية الكلاسيكية، ويمثلها كتاب البنى التركيبية لعام 1957م حيث أهمل جانب الدلالة، ثم النظرية النموذجية وتضمنها مؤلف مظاهر أو جهات النظرية التركيبية لعام 1965م ، وأخيرا النظرية النموذجية الموسعة عام 1972م.
- المعنى كان هاما في النظريتين (باستثناء المرحلة الكلاسيكية عند تشومسكي)، ولا يمكن تطبيق مبادئ نظرية النظم والنظرية التوليدية

التحويلية على كلام خال من المعنى، فما الألفاظ إلا أوعية وقوالب للمعنى.

الإحالات:

- ¹ بلعيد صالح : التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م، ص:8.
- ² الدراوي زهران: عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني، دار المعارف، القاهرة، ط:4، 1987، ص:34.
- ³ الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تح: عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، مصر، ط:1، 1969، ص: 43-44.
- ⁴ دلائل الإعجاز، ص:117.
- ⁵ دلائل الإعجاز، ص:93.
- ⁶ دلائل الإعجاز، الصفحة نفسها.
- ⁷ دلائل الإعجاز، الصفحة نفسها.
- ⁸ دك الباب جعفر: الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني (نظرية الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث)، مطبعة الخليل، دمشق، ط:1، 1980، ص:40.
- ⁹ ليونز جون: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة: حلي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1985م، ط:1، ص:13.
- ¹⁰ George Mounin : linguistique du xxe siècle , p :195.
- ¹¹ Chomsky :structures syntaxiques,p :13.
- ¹² structures syntaxiques ,p :17.
- ¹³ عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، ص:116.
- ¹⁴ structures syntaxiques,p :18.
- ¹⁵ John Lyons :Sémantique linguistique,p :47.
- ¹⁶ Ibid.
- ¹⁷ سيرل جون: تشومسكي والثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي، مارس 1989، العدد9/8، ص:140.
- ¹⁸ دلائل الإعجاز، ص:75.
- ¹⁹ دلائل الإعجاز ، ص:ن.
- ²⁰ عبد المطلب محمد: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص:62.
- ²¹ قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، ص:63.
- ²² دلائل الإعجاز، ص:407.
- ²³ ChomskyM : Aspects de la theorie syntaxique,p :31.
- ²⁴ دلائل الإعجاز، ص:407.

²⁵ Hocine Khomri : poetique d'Aurgani,p :40-41.

²⁶ Ibid

²⁷ زكرياء ميشال: الألسنية (المبادئ والأعلام)، ص: 267.

المصادر والمراجع:

- الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تح:عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، ط:1، 1969.
- بلعيد صالح: التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
- دك الباب جعفر: الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني(نظرية الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث)، مطبعة الجليل، دمشق، ط:1، 1980.
- عبد المطلب محمد: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط:1، 1965.
- ليون جونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دارالمعرفة الجامعية، مصر، ط:1، 1985.
- الدراوي زهران: عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني، دار المعارف، القاهرة، ط:4، 1987.
- الراجحي عبده: النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، دارالمعرفة الجامعية، مصر، 1988.
- مجلة الفكر العربي، العددان 9/8، جانفي 1989.
- زكرياء ميشال: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط:2، 1983.

-Chomsky Avrame Noam :

-Structures syntaxiques,tra :Michel Braudeau,du Seuil ,Paris,1969.

- Khomri Hocine : poetique d'Aurgani,,Paris,1983.

- George Mounin : linguistique du xxe siècle ,presses universitaire,Paris,1972.

- John Lyons:Sémantique linguistique,tra :Jacque Durand et Dominique Baolonnais,Herissey, France,1980.